DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

أساليب الترويج الأيديولوجي للخلافة العباسية في الخطاب الرسمي والكتابات التاريخية المبكرة

د. حيدر محسن بندر
الكلية التربوية المفتوحة / الشطرة، وزارة التربية، العراق
البريد الالكتروني: Dehydrated.mhsn@ec.edu.iq

الملخص

تناولنا في هذا البحث نشأة فن الخطابة وتطوره في حضارتي اليونان وروما، قبل أن ينتقل ليرصد مكانة الخطابة في العصر العباسي، باعتبارها أحد أبرز الأدوات السياسية والدينية والاجتماعية، خاصة خلال العصر العباسي الأول.

تم التركيز على دور الخطابة كوسيلة لترسيخ أركان الدولة وتأكيد مبايعة الخلفاء، حيث لعبت دورًا فعّالًا في توجيه الرأي العام وإبراز المهارات البلاغية التي طبعت هذه الحقبة. كما تم شرح أسباب انحسار الخطابة ذات الطابع السياسي لصالح الخطابة الدينية، وذلك نتيجة تقلص مجال الحرية السياسية في الفترات اللاحقة، إذ حافظت الخطابة الدينية على تأثيرها عبر شخصيات بارزة في بغداد، بينما تعرضت الخطابة السياسية لضغوط وتقييد متزايد.

البحث تناول السمات المميزة للخطابة في العصر العباسي، بما فيها الخصائص الفنية واللغوية التي تجلت في الاستخدام المكثف للأساليب البلاغية مثل السجع، الإيجاز، توضيح المعاني، وتنويع التراكيب. كما تم استعراض أهداف الخطابة المرتبطة بتلك الأساليب لتحقيق التأثير المطلوب. تطرق البحث أيضًا للعلاقة بين السلطتين السياسية والدينية، موضحًا انقسام العلماء بين مؤيدين للسلطة ومعارضين لها، إضافة إلى مجموعة من العلماء الذين التزموا الحياد.

وتم التأكيد على أهمية الخطابة السياسية في تلك الفترة ودورها المحوري في تأكيد شرعية الحاكم من خلال إبراز علاقة الخلفاء بالنبي محمد كمصدر شرعية للخلافة. كذلك كان للخطابة دور كبير في دعم استقرار الحكم وكسب تأييد العامة.

على الصعيد الاجتماعي، تناول البحث تأثير الخطابة في دفع العامة إلى دعم شرعية السلطة والحفاظ على القيم المجتمعية والدينية والأخلاقية، مثل الحق، العدالة، الآداب العامة والأخلاق. كما سلط الضوء على دور الخطابة في تعزيز اللغة العربية وتطويرها، حيث ساهمت في إبراز جماليات التعبير البلاغي لمنح النثر مكانة تضاهي الشعر من حيث الألق الفني واللغوي.

تم تحليل نماذج مختارة من الخطب العباسية للكشف عن سماتها الفنية واللغوية والدلالية، مع التركيز على تقنيات الإقناع وتأثيرها في الجمهور.

أبرز البحث كيفية توظيف النصوص الدينية كالقرآن الكريم والأحاديث النبوية كأساس لاستجابة الجمهور وترسيخ الالتزام بالشريعة والقيم الأخلاقية والاجتماعية.

الكلمات المفتاحية: الترويج الأيديولوجي، الخلافة العباسية، الخطاب الرسمي، الكتابات التاريخية.

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

Methods of Propagating the Ideology of the Abbasid Caliphate in Official Discourse and Early Historical Writings

Dr. Haider Mohsen Bandar
Open College of Education/Shatrah, Ministry of Education, Iraq
Email: Dehydrated.mhsn@ec.edu.iq

ABSTRACT

This research examines the origins and development of the art of rhetoric in the Greek and Roman civilizations, before moving on to examine the status of rhetoric in the Abbasid era, as one of the most prominent political, religious, and social tools, particularly during the early Abbasid era. The focus is on the role of rhetoric as a means of consolidating the foundations of the state and confirming allegiance to the caliphs. It played an effective role in guiding public opinion and highlighting the rhetorical skills that characterized this era. The reasons for the decline of political rhetoric in favor of religious rhetoric are also explained. This decline was due to the shrinking scope of political freedom in subsequent periods. Religious rhetoric maintained its influence through prominent figures in Baghdad, while political rhetoric was subjected to increasing pressure and restrictions. The research examines the distinctive features of rhetoric in the Abbasid era, including its artistic and linguistic characteristics, manifested in the extensive use of rhetorical devices such as rhyme, brevity, clarification of meanings, and diversification of structures. The objectives of rhetoric associated with these devices to achieve the desired impact are also reviewed. The research also addressed the relationship between political and religious authorities, revealing the division among scholars between those who supported and opposed the authority, in addition to a group of scholars who maintained neutrality. The importance of political rhetoric during this period was emphasized, as well as its pivotal role in affirming the legitimacy of the ruler by highlighting the caliphs' relationship with the Prophet Muhammad as a source of legitimacy for the caliphate. Rhetoric also played a significant role in supporting the stability of government and gaining public support. On the social level, the research examined the impact of rhetoric in urging the public to support the legitimacy of the authority and preserve societal, religious, and moral values, such as truth, justice, public morals, and ethics.

Keywords: Ideological propaganda, Abbasid Caliphate, official discourse, historical writings.

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

مقدّمة

الخطابة هي عملية إلقاء خطاب أمام جمهور بطريقة مباشرة ووجهاً لوجه، حيث يقوم شخص واحد بالتواصل مع مجموعة من المستمعين. غالباً ما تُعتبر الخطابة نشاطاً رسمياً يتمحور حول الإقناع أو نقل معلومات أو حتى الترفيه. فن الخطابة يجمع بين المهارات والأساليب التي تختلف حسب طبيعة الجمهور والسياق الذي يتم فيه تقديم الخطاب. تعود جذور فن الخطابة إلى الحضارات القديمة مثل اليونان وروما وأمريكا اللاتينية، حيث ساهم المفكرون في هذه الثقافات في تطوير هذا الفن بل وصياغة معالمه الأولى. كان الهدف الأساسي للخطابة في تلك المجتمعات يتراوح بين نقل المعلومات، رواية قصص مؤثرة، أو تحفيز الجمهور على اتخاذ إجراء معين. ومن هنا برزت أهداف الخطابة الثلاثة الرئيسية: الإخبار، الإقناع، والترفيه. فهم كيفية استخدام هذه المهارات بشكل فعّال ومتى يكون ذلك مناسباً يُعد أمراً محورياً لأهمية الخطاب العام. تلعب الخطابة دوراً بارزاً في العديد من المجالات المهنية، وغالباً ما تكون نصوصها وإلقاؤها عملاً يقوم به مختصّون. في اليونان القديمة، كانت هناك تدريبات مكثفة على هذا الفن، حيث قام أرسطو بتوثيق قواعد الخطابة وأساليبها، حتى أصبحت الخطابة ضمن المناهج التعليمية خلال العصور الوسطى وما بعدها.

سمحت الأعمال الكلاسيكية التي خطّها الإغريق القدامى بترسيخ وتطوير مهارات الخطابة عبر الأجيال. في ثقافتي اليونان وروما الكلاسيكيتين، كانت الخطابة ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالحياة العامة والخاصة، حيث اعتُبِرت مهارة جوهرية للمواطن الناجح. في اليونان تحديداً، كانت الخطابات تُلقى من قبل المواطنين أنفسهم بدلًا من توكيل شخص آخر للتحدث نيابة عنهم، كما هو الحال في الوقت الحاضر مع المحامين مثلًا. ولذلك، كان المواطنون بحاجة إلى تعلم فنون الحديث أمام الجمهور للحصول على فرص النجاح في المجتمع. مجموعة من المعلمين السوفسطائيين كانوا من أوائل من أسسوا منهجيات تعليم الخطابة في اليونان القديمة، حيث قدموا تدريبات مدفوعة الأجر لتعليم الطلاب كيفية التحدث بفعالية باستخدام استراتيجيات محددة. بالإضافة إلى السوفسطائيين، ساهم سقراط وأفلاطون وأرسطو في صياغة نظرياتهم الخاصة بالخطابة وتدريسها للطلاب داخل المؤسسات التعليمية التي أنشأوها مثل الأكاديمية وليقيون. هذه الجهود أدت إلى تكوين أساس قوي لفن الخطابة كممارسة تعليمية وأداة ثقافية عبر العصور المختلفة.

خلال فترة الصعود السياسي للجمهورية الرومانية، استعان الخطباء الرومان بالتقنيات اليونانية القديمة في فن الخطابة أمام الجمهور، حيث قاموا بتطويرها وتكييفها بما يتناسب مع ثقافتهم. لاحقًا، تحول تعليم فن الخطابة إلى منهج متكامل يُدرس فيه قواعد اللغة وإعداد الخطب العامة سواء في السياقات التشريعية أو التداولية .تأثر الأسلوب البلاغي اللاتيني بعمق بفلسفة شيشرون، حيث ركز بشكل خاص على التعليم بمفهومه العام في مختلف مجالات الفنون الحرة، ومنها الفلسفة. وقد تضمنت دراسة الخطابة استثمار الذكاء والحنكة، استمالة الجمهور، وحتى استخدام المراوغة لتحقيق الأهداف. رغم ذلك، في ظل الإمبراطورية الرومانية، تراجع دور الخطابة ليقتصر على المجال القانوني وأصبح مادة للترفيه. بفضل هذا التحول، اكتسب بعض الخطباء شهرة واسعة في روما القديمة، وتمكنوا من تحقيق ثروات كبيرة وتحقيق مكانة اجتماعية بارزة[1]..

أهميّة البحث

وَجَبَ تسليط الضوء بشكل مقتضب على فن الخطابة وتطوره، حيث بدأ في اليونان وروما وبلاد اللتين، ثم الحديث عنه في العصر العباسي، نظرًا لدوره البارز كأداة سياسية، دينية واجتماعية، خاصة خلال العصر العباسي الأول.

وجب التنويه على أن الخطابة وسيلة لترسيخ أركان الدولة وتأكيد مبايعة الخلفاء، ومساهمتها في توجيه الرأي العام وإبراز المهارات البلاغية التي تميزت بها هذه الحقبة، مع توضيح أسباب انحسار الخطابة السياسية لصالح الخطابة الدينية، من تراجع الحرية السياسية في فترات لاحقة، خصوصًا خلال عهد الخلفاء، حيث ظل المجال الديني حيّزًا للتأثير عبر أعلام بغداد، فيما ضُيّق الخناق على الخطابة ذات الطابع السياسي.

[1] دايل كارنيجي: بالإنجليزية (Dale Carnegie) : ولد في 24 نوفمبر 1888 بالقرب من ميزوري في الولايات المتحدة الأمريكية: صاحب كتاب فن الخطابة، ص71، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (1999).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

وجب إبراز أهمية الخطابة السياسية في تلك الفترة في دورها الأساسي لتأكيد شرعية الحاكم، عبر إبراز صلة الخلفاء بالنبي محمد كدليل على أحقيتهم بالخلافة. إلى جانب ذلك، كانت الخطب عاملًا مهمًا في دعم استقرار الحكم وكسب دعم العامة.

تبيان دورها الجوهري في تعزيز اللغة العربية وتنميتها، وقد ساهمت تلك الخطب في إبراز جماليات التعبير البلاغي، مما منح النثر مكانة تضاهي الشعر من حيث التألق الفني واللغوي.

تحليل بعض الخطب والوقوف على سماتها الفنية واللغوية والمعنوية وتوظيفها مجتمعة في سبيل فن الإقناع والتأثير في العامة وترسيخ مايُراد من تلك الخطب في التأثير على وعي العامة ودفعهم إلى الالتزام بالشريعة والآداب العامة.

المبحث الأول: الخطابة ودورها في الأيديولوجيا العباسيّة

المطلب الأول: الخطابة في العصر العباسي وأساليبها

الخطابة لغة: الخطابة، مصدر للفعل الثلاثي "خطب يخطب خطبة وخطابة"، من باب نصر ينصر نصرا نصرة، قال ابن منظور في لسان العرب: والخطبة مثل الرسالة التي لها أول وآخر، وإنما الخطبة بكسر الخاء فهي طلب المرأة للزواج[2].

الخطابة اصطلاحًا: قدم العلماء والأدباء للخطابة تعريفات كثيرة منها: تعريف أرسطو، وهو يقول: هي إمكانية النظر في كل ما يوصل إلى الإقناع في مسألة من المسائل[3].

شهدت الخطابة تطورًا كبيرًا في بدايات العصر العباسي، حيث لعبت دورًا مؤثرًا في النفوس وصنعت مكانتها في القلوب نظير أهميتها البالغة في ترسيخ السلطة، رفع معنويات الجند، واستقبال الوفود. وقد برع الخلفاء الأوائل ودعاتهم في هذا الفن، من أمثال المنصور، المهدي، الرشيد، والمأمون، إلى جانب خطباء مميزين مثل شبيب بن شيبة وخالد بن صفوان. إلا أن بروز عصر الاستقرار السياسي لبني العباس وترك القيادة السياسية والعسكرية للموالي قلص الحاجة إلى الخطابة كوسيلة للنضال، ليحل محلها فن الرسائل والمنشورات كأداة للتواصل وحل القضايا الكبرى. بمرور الوقت، اقتصرت الخطابة على مناسبات دينية واجتماعية محدودة مثل خطب الجمعة والعيدين وخطب الزواج. ومع انحسار دور الخلفاء في مهام رمزية إثر سيطرة بني بويه على السلطة وتولي العلماء الأكفاء المسؤوليات العلمية والدينية، ظهر جيل جديد من الأدباء المتخصصين في هذا المجال مثل الخطيب البغدادي والخطيب التبريزي. إلا أن الفصاحة والبلاغة تراجعت تدريجيًا بين المسلمين، مما دفع الكثير من الوعّاظ إلى الاعتماد على حفظ خطب القدماء مثل خطب ابن نباتة المصري وإلقائها دون التعمق في معانيها أو فهم غاياتها الحقيقية، مستمرين على هذا النهج لفترات طويلة. ومع انطلاق النهضة الحديثة في مصر، أعيد إحياء فن الخطابة وصقله عبر جهود قسم الوعظ والإرشاد في الجامعة الأزهرية، مما ساهم في تعزيز هذا المجال وإعادته إلى دائرة الاهتمام[4].

أنواع الخطابة في العصر العباسي الأول شهدت تنوعًا ملحوظًا، حيث كانت الخطابة وسيلة رئيسة لتأكيد شرعية بني العباس في الحكم وتعزيز مكانتهم السياسية. اعتمد الخلفاء العباسيون على هذا الفن لتحفيز الجنود ورفع معنوياتهم، كما استخدمت في استقبال الوفود الرسمية، مما جعلها تؤثر بشكل كبير على النفوس وتُظهر قوة الحُكم وهيبته. ومع استقرار الدولة العباسية وتزايد قوتها العسكرية، تراجع دور الخطابة تدريجيًا إلى أن أصبح غير ضروري مع الاعتماد المتزايد على القوة العسكرية، السيف والأسلحة .بدلاً من ذلك، تبنت الدولة أساليب الكتابة مثل الرسائل والمنشورات كوسيلة للتواصل .وفيما يلي تفصيل لأبرز أنواع الخطابة التي تميزت في تلك الحقبة:

---

[2] ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، المكتبة الشاملة، دار صادر، بيروت، 14ج، ص98، (2014).

[3] أرسطو طاليس: الخطابة، ترجمه عن اليونانية وحققه، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، دار قلم، بيروت، 1980م.

[4] إبراهيم علي أبو خشب: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، ص 560، دار الفكر العربي. القاهرة، (2016).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

الخطابة في العصر العباسي كانت وسيلة فريدة للتعبير عن مختلف القضايا السياسية، الدينية، والاجتماعية، وتميزت باستخدام أساليب متنوعة وصياغة غنية تعكس طبيعة المرحلة التاريخية. في الخطابة السياسية، كان الهدف الأساسي هو تشجيع المجاهدين والجنود على القتال والتضحية في سبيل الله، إضافة إلى استخدامها في استقبال الوفود الرسمية ونقل الأخبار بين الأمصار أو تناول شؤون الدولة. وكان أبو العباس من الأوائل الذي لجأوا إلى هذا النوع من الخطابة لتعزيز دوره القيادي. أما الخطابة الدينية، فكان المقصود منها تقديم الخطب في المناسبات الدينية، الأعياد، وأيام الجمع، واشتهرت بخطب تُنسب للخلفاء مثل خطبة هارون الرشيد وخطبة المهدي، حيث كان لها تأثير كبير في نشر الوعي الديني وترسيخ المبادئ الإسلامية. الخطابة الاجتماعية جاءت لتعبر عن تنوع الحاجات والمشاعر، سواء كانت مدحًا، ذمًا، عتابًا، أو استعطافًا، وازدهرت في تلك الحقبة نتيجة لتطور الحياة العقلية والاجتماعية. وقد تجلى هذا النوع من الخطابة في استخدام أساليب قوية تجذب الانتباه سواء بالصورة أو الوصف أو التركيز على الإبداع اللفظي. خصائص الخطابة في العصر العباسي كانت علامة فارقة مقارنة بالعصور السابقة. فقد امتازت بقوة الألفاظ واستخدام أسلوب مميز من حيث الصياغة دون الإفراط في السجع، مع استشهاد واسع بآيات قرآنية وأحاديث نبوية. كما اتسمت بالاختصار والإيجاز دون ميل للإطناب، مع استخدام الشعر كوسيلة للتعبير عن الأفكار وإثراء النصوص. هذه الخصائص جعلتها أكثر تأثيرًا وملاءمة لمخاطبة الجمهور المتنوع آنذاك[5].

تميزت الخطابة في العصر العباسي بعددٍ من الخصائص التي جعلتها ذات طابع خاص ومميز، حيث كانت تُفتتح بالحمد والثناء والتمجيد لله تعالى، وغالبًا ما يُطيل الخطيب في هذه المقدمة ويربطها بموضوع خطبته. فعلى سبيل المثال، إذا تناول موضوع الصلاة، يعزز حديثه بآيات قرآنية وأحاديث نبوية تتعلق بها. كما أن الخطابة لم تكن محددة بطول معيّن؛ إذ يُراعى أن تكون معتدلة، فلا تُصبح طويلةً مملة أو قصيرةً مخلة. وكان الإنسان محور معظم الخطابات الدينية، حيث تركز على جوهره الحقيقي وتشجّع على الزهد والتقوى والصلاح. يدعو الخطيب إلى الخير ويُحذر من الدنيا وينهى عن المنكر، مع حرصه على توازن الجمل في خطابه، واستخدام السجع بشكل غير مُتكلّف. كما يستعين بالشعر الجيد لتأكيد رسالته، خاصةً الأشعار التي تحمل الحكمة والموعظة والأخلاق الرفيعة. يكثر الخطباء من استخدام الصيغ الإنشائية مثل التأكيد والنداء والاستفهام والتكرار. وفي المجمل، تغلب على الخطابة العاطفة الدينية بأسلوب متنوع يتراوح بين الترهيب من العذاب والترغيب بالثواب. أما أسباب ضعف الخطابة في هذا العصر، فقد ترتبط بظروف سياسية واجتماعية متعددة. استقرار الدولة العباسية وتعزيز دعائم حكمها قلّل الحاجة إلى الخطابة التي كانت سابقًا وسيلةً لإثارة الحماسة وتوحيد الصفوف. ومع القضاء على أبناء عمهم العلويين واستقرار هياكل الحكم، تراجع دور الخطابة كوسيلة تعبوية. كذلك، تأثر مكانة الخطابة بانخفاض أهمية اللغة العربية البلاغية لدى حماة الدولة من الفرس والترك الذين لم يجدوا في الكلام العربي البليغ ما يحركهم. استبدلت العصبيات القبلية التقليدية التي كانت تحفّز العرب بعصبيات جنسية جديدة، مما قلل دلالة الخطابة بالنسبة لهم. إضافةً لذلك، ضعف نفوذ القبائل العربية وانحيازها للصحراء أثّر سلبًا على دورها الثقافي، بالرغم من فصاحتها وبلاغتها التي كانت مصدر تميزها .كان لتوسع موضوعات الكتابة أثر في تراجع الاهتمام بالخطابة؛ إذ اتجه الخلفاء والقادة إلى الكتابة بدلًا من الخطابة للتواصل مع جنودهم وإيصال رسائلهم .هذا الأمر ساهم في تعزيز دور الكتّاب وتقليل اعتماد الناس على الخطابة كوسيلة اتصال رئيسية. وربما أدى تقليد عامة الناس للخلفاء، الذين أنفسهم اعتبروا الخطابة أقل أهمية في حياتهم، إلى انخفاض احترامهم لها وللخطباء، مما جعل هذه الفنون تتلاشى تدريجيًا أمام الكتابة وأساليب التعبير الأخرى[6].

المطلب الثاني: العلاقة بين السلطتين الدينية والسياسية في العصر العباسي

شهدت العلاقة بين المؤسسة الدينية والسلطة السياسية تعقيداً وعدم استقرار على مدار الزمن، حيث تأثرت بتغير موازين القوى والسياسات الثقافية والاجتماعية المتبعة. وقد ظهر هذا التفاوت واضحًا خلال العصر العباسي الأول، حيث تطورت وظيفة المؤسسة الدينية من مجرد تنظيم الحقل الديني وتقديم الشرعية للسلطة الحاكمة إلى

[5] ممدوح محمد نصر الدين: الخطابة في العصر العباسي الأول، دار أنوار الأزهر للنشر والتوزيع، القاهرة، م16، ص 114، (2021).

[6] حسين عبد العال اللهيبي: الخطابة العربية في العصر العباس، جامعة القادسيّة، كليّة الآداب، العراق، م7، ص107، (2008).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

دور أكبر ومتعدد الجوانب، شمل ممارسة الرقابة المباشرة على الخيارات الثقافية للسلطة السياسية نتيجةً لذلك، وبفعل طبيعة المهام الأولية التي كلفت بها، والتي ربطتها بعلاقات جيدة مع مختلف شرائح المجتمع، تحوّل نفوذها الاجتماعي تدريجيًّا إلى نفوذ سياسي، ما منحها استقلالية أكبر بعد أن كانت تخضع للسلطة. بذلك، أصبحت قادرة على فرض رؤيتها وإملاءاتها على كل من الدولة والمجتمع وفق نظرتها المؤسسية للدين.

من الضروري الإشارة إلى أن آل البيت تم استغلالهم في سياق الثورة العباسية دون أن يكون لهم صلة حقيقية بها . فقد رفض جعفر بن محمد الصادق، الذي كان يُعتبر عميد آل البيت في ذلك الوقت، المشاركة في أي نشاط سياسي مرتبط بهذه الثورة، خاصة عندما أدرك أن جذورها تمتد إلى خراسان .استمر جعفر بن محمد في اتباع نهج أبائه وأجداده بالتفرغ للعلم والابتعاد عن السياسة، ونجح في تأسيس مدرسة علمية كانت مقصدًا لكبار العلماء والفقهاء في زمانه .رغم اهتمامه بالعلم وابتعاده عن الساحة السياسية، إلا أن العباسيين سجنوه مرتين، خوفًا من تأثيره الشعبي واحتشاد الناس حول دروسه. ظل آل البيت نقطة قلق دائم بالنسبة للعباسيين، وربما بشكل أكبر مما واجهوا تحت الحكم الأموي، وذلك بسبب التخوف من احتمالية قيام أنصار آل البيت بثورة تسترد الخلافة منهم. وهذا التخوف حدث بالفعل بعيد بداية الدولة العباسية، عندما قاد محمد ذو النفس الزكية وأخوه إبراهيم، أبناء عبد الله بن الحسن المثنى ثورة ضد العباسيين في المدينة والكوفة عام 145هـ خلال عهد أبي جعفر المنصور الذي خلف أبو العباس السفاح .الثورة انطلقت بناءً على دعوى أن العباسيين قد استغلوا اسم آل البيت للحصول على ولاية ليست لهم بحق .جذب هذا التحرك بعض بقية الزيدية وعددًا من أهل المدينة والكوفة، إلا أن العباسيين عبر شبكاتهم الاستخباراتية تمكنوا من كشف الأمر قبل أوانه .وهذا الكشف المبكر، إضافة إلى خوف عامة الناس من بطش السلطة العباسية، أديا في النهاية إلى فشل الثورة وقتل قادتها، محمد ذو النفس الزكية وأخيه إبراهيم[7].

مع دخول القرن الثاني للهجرة وانتشار حركة التدوين وظهور العلوم وتطور طرق نشر المعرفة، أدركت السلطة السياسية بشكل متزايد أهمية تنظيم المجال الديني والسيطرة عليه من خلال تقنين مدوناته المرجعية وتحديد موقعه في الثقافة العامة ودور الفاعلين المسؤولين عنه. إلا أن المشهد الديني آنذاك كان مليئًا بالتباينات والخلافات، ليس فقط بين المذاهب السياسية المختلفة والمتصارعة، بل أيضًا داخل الدائرة الرسمية نفسها، بسبب غياب التوحيد والتوافق حول المدونات المرجعية والقراءات المعتمدة.

في مرحلة تأسيس الدولة العباسية، حرص الخلفاء العباسيون على الاستعانة بجماعة من العلماء المعروفين بـ " المحدّثين"، وهم أفراد ذوو مكانة مرجعية دينية متعالية، يمكن توظيفها لتحقيق أهداف السلطة الناشئة. يمكن فهم هذه الاستعانة في سياق المنافسة الشديدة التي واجهها العباسيون من الطالبيين، الذين كانوا يشكّلون منافسين رئيسيين ضمن الحزب الهاشمي، ويتمتعون بقاعدة شرعية دينية عميقة تستند إلى ارتباطهم بفاطمة بنت النبي وعلي بن أبي طالب، الذي امتاز بمكانة عالية من حيث النسب والعلاقة الوثيقة بالرسول، وللتغلب على هذه المنافسة سعى العباسيون إلى بناء ثقل ديني موازن يضمن لهم مشروعية دينية تُضاهي منافسيهم، مستندين في ذلك إلى ما يعتبرونه إرثًا إلهيًا منحهم الله إيّاه من خلال نبيه. كان هذا الجهد لتأسيس المشروعية الدينية متزامنًا مع بناء الأسس المادية للدولة، ومن أبرز مظاهر هذا التزامن ما نجده في أخبار تأسيس أبي جعفر المنصور للعاصمة بغداد؛ حيث ارتبطت عملية بناء الدولة بالعمل على تعزيز المشروعية الدينية للسلطة العباسية، عبر تداول العديد من الأحاديث النبوية التي تبشّر بخلافة بني العبّاس وتُبرز تفضيلهم على الأطراف الأخرى المنافسة[8].

هذه الأحاديث كان يتم تناقلها في المجالس العلمية التي عُقدت في البلاط العباسي وغالبًا ما ارتبطت بروايات ابن عباس تحديدًا، ومن هذه الأحاديث حديث يُنسب إلى أم الفضل زوجة العبّاس، تقول فيه إنها مرت بالنبي وهو في الحجر فأخبرها بأنها حامل بغلام. وعندما ولدته، أخذته إلى النبي فصلى وأقام في أذنيه وقال: اذهبي بأبي الخلفاء"[9]، في الحديث يبرز دور العباس بصفته عم النبي مركز الاهتمام والاحترام المتميز. كما جاءت نبوءة النبي بأن الخلفاء سيكونون من نسل العباس، منهم السفاح والمنصور والمهدي، وذلك في السنة 135 للهجرة،

[7] د. محمد حاجي تقي: الجهاد الشيعي تحت المجهر، مجلة المنهاج، ع29، (2003).
[8] الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي: صاحب تاريخ بغداد، 24 ج، ج1، ص 36، بيروت، دار الكتب العلميّة، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (2022)
[9] جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، فصل في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس، ج1، ص80، منشورات المكتبة الإسلامية، شبكة إسلام، (1998).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

والقراءة المتأنية لهذا الحديث تكشف عن محاولة لتعزيز المشروعية الدينية للعباسيين والرد على الطالبيين الذين كانوا يعتبرون أنفسهم الأحق بالخلافة بوصفهم الأقرب صلة بالنبي، ويظهر ذلك في بنية الحديث وخصائصه اللغوية والدلالية المتمثلة في عدة عناصر: اعتبار النبي مبلّغًا للحق الذي يتنبّأ بخلافة بني العباس، اختيار الكعبة كموقع مقدس للحادثة، إبراز الاحتفاء الخاص بالعبّاس وتفضيله مقارنةً ببقية الأقارب. هذه العناصر مجتمعة تهدف إلى تحقيق المشروعية الدينية لبني العباس وتأكيد موقعهم في القيادة أمام منافسيهم.

خارج البلاط، برزت أوامر الخليفة الموجهة إلى العلماء والمحدّثين حيثما وُجِدوا كجزء مهم من السياسة العامة، مما يعكس حرص السلطة على توجيه المعرفة الدينية في خدمة أهدافها وتأسيس منهج فكري يعزز سيطرتها. يظهر هذا المسعى جليًا في التوجهات التي اتخذها أبو جعفر المنصور، حين أوكل إلى عبد الصمد بن علي الهاشمي، المشرف على موسم الحج، مهمة لقاء مجموعة من العلماء كالسفيان الثوري والأوزاعي للحصول على أحاديث ذات مضمون محدد.

الحوار الذي دار بين ممثل الخليفة والعلماء يكشف واقعًا مزدوجًا، فمن جهة، كان هناك علماء يرفضون الانصياع لطلبات السلطة ويختارون الابتعاد عن دائرة الولاء لها رغم امتنانهم الشخصي لبعض العطاءات. ومن جهة أخرى، كان هناك مَن قبلوا التعاون بسبب الامتيازات والخدمات التي تقدمها لهم السلطة، غير أن نوعية الأحاديث المطلوبة كانت سياسية الطابع، تركّز على الدعوة للولاء للخليفة وتعظيم قريش كشرط للتوافق مع الأوامر السلطوية، كما يظهر في تصريح الممثل للسلطة الذي قال بأن بني العباس هم من قريش وهم لا يقبلون من أحد سوى أن يبجّلهم"[10]. السفيان الثوري، على الرغم من مرونته المعهودة في الحديث لكل من يطلبه دون تحفّظ، رفض بشكل قاطع الاستجابة لهذه التوجهات، وتمسك بموقفه حتى أدى هذا الرفض إلى منعه من مخالطة الناس وتداول كتبه بأمر من الخليفة. ورغم ذلك، كان هناك من يخالف تلك الأوامر سعيًا للإفادة من علم الثوري، مثل الذي جاءه طالبًا الحديث وقوبل بالاعتذار خشية التعرض للخطر.

هذا الرفض يمثّل تمايزًا بارزًا بين المعرفة الدينية الحرة والمعرفة المدفوعة بالتوجهات الرسمية التي تسعى لتنظيم المجتمع وفق رؤية سلطويّة. تحقيق المشروعية في هذا السياق اعتمد على توفير الشروط الملائمة لإنتاج وتداول المعرفة الدينية المطلوبة بين الناس، لذلك، استثمرت السلطة في التقريب بين العلماء والحكام عبر الإحسان المالي لهم وتهيئة الظروف المناسبة لأداء وظائفهم. هذا التوجه تعزز بشكل ملحوظ خلال الدولة العباسية، خصوصًا مع هارون الرشيد الذي أغدق بالعطاء على المحدّثين والقائمين على الدين، وخير مثال واضح على هذا التوجه هو ما رواه أحد المحدثين بعدما أمره الخليفة الرشيد بأن يدعو للخلفاء وأن يدعوا أصحابه إلى ذلك، حيث قال: "عليك بالدعاء لمن ولّاه أمرك ومُر أصحابك بذلك"[11]، ثم تبعها منح مال كبير لتوزيعه عليهم. هذا الموقف يعكس علاقة وظيفية واضحة بين السلطة والعلماء، حيث يرتبط الدعم المالي بشرط الولاء والتأييد. الخلاصة تشير إلى أن الدولة العباسية عكفت على بناء شبكة معقدة من الولاءات الدينية والسياسية تأتي عبر تحفيز العلماء وتوجيههم بما يخدم مشروعها السياسي والاجتماعي.

يتضح بشكل جليّ حجم التعاون الوظيفي الذي نشأ بين المؤسستين السياسية والدينية خلال مراحل التأسيس الأولى، حيث ظهرت معارضة واضحة لهذا التعاون من بين بعض العلماء أنفسهم. واستنادًا إلى المصادر التاريخية، كانت هناك فئة من العلماء تشددت في الحفاظ على استقلالية العلم، ولم تندثر مواقفها بالكامل، ومن أبرز الشواهد على ذلك موقف العالم الذي، رغم قبوله التبعية للسلطة، ظل مرتبطًا بصفة مستقلة تُعبر عن اعتزازه بعلمه ونفسه. ومثال ذلك سفيان الثوري والقاضي شريك، الذي أقرّ صراحةً بأنه باع دينه عندما خدم الخليفة، وهذا النقد لم يقتصر على شخصيات فردية؛ إذ اعتُبرت الغايات الدنيوية وراء سعي بعض العلماء إلى الحديث هدفًا غير حميد. فالعالم شريك أشار إلى أن هناك من يطلب العلم ليس لله وإنما لمصالح دنيوية، معبّرًا عن الظاهرة بمصطلح "التظرف"[12]، والذي يُشير إلى البراعة في خدمة البلاط وفق شروط اجتماعية محددة، منها

[10] الخطيب البغدادي: صاحب تاريخ بغداد، مرجع سابق، 24 ج، ج1، ص40.
[11] المرجع نفسه.

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

حسن المظهر وصياغة الكلام. مهمة هؤلاء العلماء جعلتهم قريبين من الساسة والمجالس الرسمية، وهو ما أثار الجدل بين العلماء الذين رفضوا الانخراط في هذا الدور[13].

تُظهر المصادر كذلك العديد من الانتقادات التي وجهها علماء آخرون لمن سعوا خلف المنافع الدنيوية عبر العلم، ومنهم أبو بكر بن عياش، الذي يُعد مثالًا آخر لشخصية ناقدة لهذا النمط. وقد اختصر أحد العلماء المتأخرين هذه المواقف النقدية بطرح فكرة تأثير التبعية للسلطة على مصداقية المعرفة واستقلالها، مؤكدًا أن التقرب من الحاكم يمثل خطرًا كبيرًا على العلماء بسبب احتمالية تغيير النيّة مع الزمن تحت تأثير الإكرام والطمع، وهذا ما عبّر عنه سفيان الثوري أيضًا بقوله إنه يخشى على قلبه من الميل للسلطة إثر إكرامها له[14]. ومن خلال عرض تلك المعطيات، يتأكد وجود تيارين متمايزين بين العلماء: أحدهما يرفض الولاء للسلطة حفاظًا على استقلال المعرفة الدينية، والآخر ينخرط في هذا الولاء بشكل كامل. الفئة الثانية نجحت في تحقيق مكانة اجتماعية بارزة بفضل دعم معنوي ومادي تلقته، إضافة إلى اكتسابها صفة الاشتغال بالعلم الإلهي، ما منحها انتشارًا واسعًا ودعمًا ماليًا إضافيًا من العلماء الموسرين المتعاطفين معها، ومن بين هؤلاء عبد الله بن المبارك، وإبراهيم بن إسحاق الحربي، وغيرهما الكثير ممن ساهموا في تمويل حركة طلب العلم بشكل موجه نحو البر والإحسان. هذه المساهمات تحولت إلى ظاهرة عززت قوة الجماعة العلمية ومكّنتها من الاستغناء عن دعم السلطة عند حدوث تصادم معها حول القضايا الأساسية التي بنى عليها التحالف بين الجانبين. بذلك، تحوّلت العلاقة بين السلطة والعلماء إلى ساحة تجاذب بين المصالح المادية والقيم الدينية.

الصفة التي استطاعت هذه الفئة اكتسابها واحتكارها، وهي صفة الاشتغال بالعلم الإلهي، كانت العامل الأبرز في نجاحها بكسب ولاء العامة والارتقاء بمكانتها بين الناس بشكل مباشر؛ فقد امتلأت خطاباتها -وخاصة في التعريف بأنفسها ووظيفتها - بجدالات تؤكد تميزها عن الآخرين، سواء من حيث الأشخاص أو من حيث العلم الذي تدعي إتقانه. إذ تعتبر نفسها الطائفة الناجية، الحاملة للحق، وورثة الأنبياء، والمشتغلة بمدونات ذات قداسة لا تقلّ عن الكتاب المنزل[15]. من هذا المنطلق، كان المحدث منهم يحرص على الطهارة قبل أن يبدأ بالتحديث، في إشارة واضحة إلى طبيعة عمله المقدسة المرتبطة بنصوص مقدسة شبيهة بقدسية الكتاب المنزل. أما وظيفتهم، فتتجلى في تركيزهم على جانب معين من المعرفة الدينية يتجاوز ما يُطلب من العامة معرفته. لقد لجأوا إلى الحديث "طلب العلم فريضة على كل مسلم"[16] لإعادة تأويل دلالته بما يخدم احتكارهم للمعرفة الدينية، حيث جعله أساسًا لفصل بين معارف الدين العامة المتاحة للجميع وبين تلك التي تختص بها فئة معينة من العلماء، ولا تقتصر إشكالية هذا التقسيم على وضع "العامي "ذاته في مجتمع تقل فيه نسبة المتعلمين القادرين على القراءة والكتابة أو الانشغال بالعلم، بل تتعلق أساسًا بهوية هؤلاء العلماء الموجه إليهم السؤال لفهم الدين .يتضح ذلك جليًا في تنظير الإمام الشافعي، واضع علم الأصول، الذي قسّم العلم الديني بادئ الأمر إلى علم للعامة وعلم للخاصة .ثم عمد إلى تحديد من يحق لهم من العلماء أن يتولوا تفسير الدين للناس ومن لا يحق له ذلك.

هذا التقسيم لم يكن سوى انعكاسًا للواقع الاجتماعي والثقافي القائم حينها، ولكن ما ظهر لاحقًا كان نزعة احتكارية تتسم بطابع مؤسسي يُقصي الأصوات المخالفة، فقد صرّح الشافعي علنًا بمنع المخالفين لمنظومته من تولي فهم الدين وتعليمه للناس، وهو ما تجلى بوضوح في خطابه عبر تكرار المعاني المتعلقة بشروط العلم بالدين وممارسة الاجتهاد، وهي الشروط التي وضع حدودها بناءً على تصوره لمصادر التشريع كالكتاب والإجماع وما يدخل وما لا يدخل في باب الاجتهاد، ومن أكثر ما يميز خطاب الشافعي هو كثافة استخدامه أساليب المنع والنفي وعدم الإجازة لمن لا يتبع منهجه أو منظومته الفكرية، خاصة عندما يتعلق الأمر بالعلماء الآخرين مثل أصحاب الرأي

---

[13] شمس الدين بن محمد الذهبي المتوفى (1374): صاحب كتاب سير أعلام النبلاء، تحقيق أكرم البوشي، شعيب أرناؤوط، ص388، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1984).

[14] أبو الفرج، عبد الرحمن بن عي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي التيمي البغدادي: صاحب تلبيس إبليس، الفقه الوعظي، فـ5، ص29، تحقيق مسعد السعدني ومحمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، (2023)

[15] شمس الدين محمّد بن مفلح بن محمد بن مفرج الراميني القانوني المقدسي الصالحي الحنبلي: الآداب الشرعيّة، تحقيق عمر القيام وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (2015)

[16] (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، رواه أنس بن مالك عن النبي، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وأخرجه مسلم في الزكاة، ص5276، وهذا الحديث أنكره أكثر أهل العلم ولم يضعوه ضمن الأحاديث الموثوقة، تخريج سُرى يوسف، ص2، موقع موضوع، (2022).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

أو الذين يعتمدون على العقل. هذه الأساليب لم تكن موجهة فقط إلى افتراضات معرفية مختلفة أو بدائل فكرية محتملة، بل كانت ردود فعل مباشرة على مواقف موجودة بالفعل ودافع عنها علماء آخرون، أبرزهم الحنفيّة والمتكلّمون.

يمكننا في هذا السياق أن نفهم أن هناك فئة محددة من العلماء احتلت مكانة استثنائية، ومنحت نفسها الحق لتوجيه بقية العلماء وتحديد الصحيح والخاطئ، فضلاً عن تحليل الأمور وتحريمها. هذه المكانة أخذت شكل قيادة فكريّة ودينيّة مشابهة للقيادة السياسية التي كانت تُعتبر ضرورية لاستقامة المجتمع، وفق التصورات السائدة في تلك الحقبة. القيادة في المجالين الديني والسياسي تجسّدت في مصطلح "أمير المؤمنين"، الذي جمع بين السلطتين السياسية والدينية؛ حيث يُطلق على الخليفة لقب "أمير المؤمنين" للإشارة إلى سلطته السياسية، كما يُستخدم نفس المصطلح للإشارة إلى علماء الدين الذين يتزعمون المجال المعرفي والديني.

هذا التداخل بين السلطة السياسية والدينية يشير إلى تقاسم ضمني للنفوذ في المجتمع الإسلامي بين الحاكم السياسي والعالم أو رجل الدين، إلا أن عوامل تاريخية مثل انهيار السلطة المركزية في بغداد في القرن الثالث الهجري أدّت إلى بروز دور العلماء في الساحة العامة. في هذه الظروف، انتقل العلماء إلى ملء الفراغ السياسي والعمل على فرض النظام وسط الفوضى التي عمت العاصمة. كان ذلك يتحقق بقيادة بعض العلماء الذين تولّوا مهام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، مثل أحمد بن نصر الخزاعي ونصر بن سلامة، وقد تحوّلت هذه الحركات إلى أجهزة شبه سياسية تُمارس السلطة بالقوّة وتخضع لها الناس كما لو كانوا يخضعون للسلطان نفسه[17].

ومع استئناف السلطة المركزية بعد عودة الخليفة المأمون إلى بغداد، ورغم انتهاء التدخل المباشر للعلماء، فقد بدأت مرحلة جديدة من إدراكهم لوزنهم الاجتماعي والسياسي. هذا الإدراك منح العلماء القدرة على منافسة السلطة وتوجيه القرارات وصياغة معايير تُنظّم حياة المجتمع، متشبثين بالدفاع عن الثوابت التي مثّلت أساس تحالفهم التقليدي مع الدولة العباسية. لكن مع تولي المأمون للحكم، تغيّرت سياسة الدولة العباسية، خصوصًا فيما يتعلق بالقضايا العقديّة، مما أجّج الصراع بين العلماء والسلطة السياسية. تصدّر أحمد بن حنبل هذه المواجهة، واتخذ العلماء خطوات متعددة للتصدي لسياسات الخليفة المأمون. دينيًا، كَثُرت الفتاوى التي تُكفّر الخليفة وتصفه وأتباعه بالبدعة، بينما استخدموا أدواتهم القضائية لتحدي السياسات الرسمية التي تبنت مبدأ عدم التمييز بين الطوائف، أمّا سياسيًا، اتّجهوا لنشر وثائق ورسائل تجريح وانتقاد للخليفة في الأماكن العامة بهدف تأليب العامة ضد السلطة، مما أدى إلى اندلاع حركات تمرد تمثلت في مقاومة سياسيّة ودينية واضحة.

ظهر هذه التحركات التي تبناها مجموعة من العلماء كرفض سياسي لساسة معينة، دون أن تكون محاولة لتولي زمام الحكم، وإنما مسعى للحفاظ على الهوية القرشية للخليفة. الخليفة المرتقب كان إبراهيم بن المهدي، وهو خليفة عباسي سابق وليس من العلماء، لكنه يتفق مع المبادئ العقائدية التي تدعم التحالف التقليدي بين المؤسستين الدينية والسياسية .بينما لم ينجح هذا التحرك سياسيًا أمام مقاومة الدولة، تكمن أهميته في تأثيره الاجتماعي، حيث تمكن من كسب دعم العامة وتفاقم الفجوة بينهم وبين السلطة بعد اتهام الدولة بالابتداع والكفر. كان لدعم العامة دور رئيس في إنهاء النهج الثقافي والديني المختلف الذي تبنته السياسة، خاصة بعد فشل التمرد الثاني الذي نظمه العلماء في فترة حكم الواثق.

وقد كانت الحركة الثانية، بقيادة العالم المُحدث أحمد بن نصر الخزاعي، ذات أهمية كبيرة، هذا العالم، الذي بدأ نشاطه في بغداد في بدايات القرن الثالث إلى جانب سهل بن سالمة، نجح في حشد الناس حول مبدأ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، لكن المشهد تغيّر عندما قدم المأمون وأنهى نشاط ابن نصر مؤقتًا ليعاود الخزاعي جهوده المعارضة خلال حكم الواثق. نجح الخزاعي في كسب دعم علماء بارزين وعامة الناس، مما أثار قلق السلطات الأمنية التي ألقت القبض عليه، حيث حاول هذه المرة أن يتولى القيادة بنفسه ويفرض القيم الدينية التي تؤمن بأنها تمثل الحقيقة. وانتهت هذه الحركة بمصير مأساوي للمتمردين وعلى رأسهم الخزاعي، إذ تعرضوا

[17] أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ هـ - ٥٧١ هـ): صاحب كتاب تاريخ دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، ج1و2، ص201، دار الفكر، دمشق، (1995)

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

لعقوبات قاسية، ومع ذلك، اعتبره العامة شهيدًا للحق، مما ساهم في تقوية حالة الصراع والتنافس بين المؤسستين السياسية والدينيّة[18].

عبر استعراض هذين التحركين، يتضح أن العلماء تحولوا عمليًا إلى مؤسسة منتجة لمعرفة دينية تحمل ثوابت عقائدية وقادرة على مواجهة السلطة إذا انحرفت عن الخط المستقيم، لكن هذه الديناميكية أثارت مسائل جدلية حول العلاقة بين المؤسستين، حيث اعتبر عبد الرحمن بن خلدون أنّ المسائل الدينية تقع ضمن مهام الخليفة أو الحاكم، بينما المسائل السياسية لا تدخل في نطاق اختصاص العلماء.

في نهاية المطاف، يمكن القول إن السلطة السياسية في المجتمعات التقليدية تعاني نقصًا في الشرعية الاجتماعية، مما يدفعها للاعتماد على الشرعية الدينية التي تحميها من خلال رموز دينية، لكن عندما تتعارض خيارات السلطة مع توجهات العلماء، تتحول المرجعية الدينية إلى أداة قد تُوظف ضد الدولة نفسها. هذه السياسة تخلق منافسًا قويًا يتمتع بنفوذ رمزي وقد يسحب منها السيطرة على الأمور الأخلاقية والمجتمعية، تاركًا إيّاها مع وسائل الإكراه المادي فقط، التي غالبًا ما تكون غير مجدية في إدارة الضمير الجمعي، وبالنظر إلى طبيعة الفكر الذي تنتجه المؤسسة الدينية، والذي يميل للإقصاء ويرفض التعددية بسهولة، نجد أن السلطة السياسية بخضوعها لهذه المؤسسة تفوّت فرصة إدارة الاختلاف بصورة أكثر تسامحًا وإيجابية لتعزيز الاستقرار المجتمعي[19].

المبحث الثاني: الخطاب الرسمي والكتابات التاريخية المبكرة وتأثيراتها

المطلب الأول: تصوير الخلافة العباسية كضرورة دينية وسياسية

أدرك العباسيون مبكرًا أن الإطاحة بدولة قوية بحجم الدولة الأموية تتطلب استمالة الفئات المحبطة والمهملة تحت حكم الأمويين. ومن هنا، أصبحت الثورة العباسية أول حركة في التاريخ الإسلامي تعتمد على التفرقة العرقية لتحقيق أهدافها، بدلًا من الأساليب السياسية التي طغت على معظم الثورات خلال الحقبة الأموية. بدأت هذه الحركة بشكل سري بقيادة علي بن عبد الله بن عباس، أحد أحفاد العباس عم النبي محمد ﷺ. كان لعلي طموح كبير لنقل الخلافة إلى بني العباس، واتسمت جهوده بحنكة تنظيمية وسرية تُعد سابقة في التاريخ الإسلامي. وقد اختار خراسان كنقطة انطلاق للثورة، مستغلًا أصول سكانها الفارسية لتكوين أول حركة تعتمد على التمايز العرقي في سياق إسلامي، سواء كان ذلك نتيجة تخطيط أم وليد ظروف .أرسل عليّ دعاة إلى خراسان لدعم دعوته، لكن بذور حركته لم تؤتِ ثمارها إلا مع تولي ابنه إبراهيم الإمام قيادة الحركة .وجد إبراهيم فرصة واعدة عندما اقترح عليه أعوانه الاستعانة بشاب ذكيّ يُعرف لاحقًا بأبي مسلم الخراساني. ينحدر أبو مسلم من نسل آخر ملوك الفرس يزدجرد الثالث، الذي تنبأ بأن أحفاده سيعودون لاستعادة العرش المفقود .برز أبو مسلم كشخصية تجمع بين رغبته في إحياء أمجاد أجداده وطموح العباسيين في تغيير نظام الحكم .لذلك أرسله إبراهيم الإمام إلى خراسان كممثل للحركة العباسية هناك .أدرك أبو مسلم أن نجاح الثورة يتطلب استغلال التنوع الديني والعرقي لسكان المنطقة .قدم الدعوة تحت شعار "الثورة النبوية المباركة" مشددًا على الدفاع عن آل البيت دون التصريح عن كونها حركة عباسية في البداية. ولجذب أوسع نطاق من المؤيدين، استعان بفكرة المهدي المنتظر لأول مرة، مستهدفًا نشر العدالة الإلهية عند ظهور سلطان آل البيت. كما اختار الرايات السود رمزًا للحركة مستوحاة من رايات النبوة أيام الفتوحات المبكرة. لم يقتصر عمله على الجانب الديني؛ بل عمد إلى توظيف المعتقدات المنتشرة بين سكان خراسان قبل الإسلام مثل تناسخ الأرواح والمفاهيم الحلولية، إضافة إلى أفكار السبئية والكسائية، الأمر الذي جذب المسلمين من أصول فارسية وغير المسلمين لتأييد الحركة وحتى اعتناق الإسلام ضمن هذا الإطار الجديد. كما استغل مشاعر الكراهية تجاه العرب نتيجة سياسات التهميش خلال الحكم الأموي، حيث وعد سكان خراسان باستعادة كرامتهم وعزتهم عبر الثورة. بهذه الاستراتيجية تمكن أبو مسلم من حشد دعم كبير في خراسان والمناطق المحيطة، وانضم إليه العديد من السبئية والكسائية وبعض الخوارج ليحقق نجاحًا سريعًا في السيطرة على خراسان. قاد بعدها جيشًا إلى الكوفة، حيث بايع أبو العباس السفاح ليصبح أول خليفة عباسي بعد وفاة إبراهيم الإمام ويؤسس رسميًا الدولة العباسية في عام 132 هـ . تميز العباسيون بإبراز نسبهم الهاشمي كأبناء عم

[18] فرح السلخي: مظاهر الحياة السياسية في العصر العباسي، الناشر موقع موضوع الإلكتروني، (2022).

[19] ناجية الوريمي: المؤسسة الدينية والسلطة السياسية من الولاء إلى المواجهة، ص18، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس، (2017).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

النبي محمد ﷺ لتأكيد المشروعية الدينية والسياسية لحكمهم، وهي خطوة ساهمت في منح نظامهم نوعًا من القداسة. ومع تولي أبي جعفر المنصور الحكم خلفًا لأبي العباس السفاح، اعتُبر المنصور المؤسس الحقيقي للدولة العباسية نظرًا لحكمته ونجاحه في تخطي الأزمات وحفظ الدولة ضمن الأسرة العباسية. رغم ذلك، اعتمد العباسيون نهج توريث السلطة، استمرارًا لما بدأه الأمويون، وهو ما أثار انتقادات الفقهاء والعلماء لابتعاده عن الآلية الشرعية في نقل السلطة في الإسلام. ومع ذلك، عزز العباسيون مشروعية حكمهم باستخدام الدين والطائفية والعرقية كأدوات سياسية بارزة في إدارة الدولة والسيطرة على مجتمع متعدد الثقافات، الخليفة العباسي الأول، أبو العباس، أكد على مكانة العباسيين وحقهم في الخلافة من خلال خطابه الذي حمل مفردات دينية وسياسية في نفس الوقت. حيث استهل كلامه بالتأكيد على اختيار الله للإسلام بقوله: "الحمد لله الذي اصطفى الإسلام لنفسه تكرمه وشرفه وعظمه واختاره لنا وأيّده وجعلنا أهله وكهفه والقُوّام به والذابّين عنه والناصرين له"، مؤكدًا على أنّ الله بعثهم خدمة لدينه وشريعته، وجهلهم رعاة لحقوق الناس، وأنّه خصّهم بقرابة رسوله محمد ﷺ، ورفع شأنهم بالإسلام وخصّهم بواجب رفع كلمة وراية الإسلام وكتابه الكريم، مذكّرًا بقوله تعالى: ﴿ وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴾[20]، وقال: ﴿ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى ﴾[21].

ثم يتابع قائلًا: "فأعلمهم عزّ وجلّ فضلنا، وأوجب عليهم حقنا ومودتنا، وأجزل من الفيء والغنيمة نصيبنا تكرمةً لنا، وتفضله علينا، والله ذو الفضل العظيم، وزعمت السبائية الضُلّال أن غيرنا أحق بالرياسة والسياسة والخلافة منا، فشاهت وجوههم". دفعت طبيعة العلاقة الرمزية للعباسيين مع السماء إلى إطلاق تسمية الثيوقراطية أو نظرية الحق الإلهي على نظام حكمهم. وقال أيضًا: "أيها الناس: بنا هَدَى الله الناس بعد ضلالتهم، ونصرهم بعد جهالتهم، وأنقذهم بعد هلكتهم"، مبينًا أن الله جعلهم نصرة للحقّ ودحضًا للباطل وأصلح بهم فساد الأمة وضعفها، وكانوا سببًا في إصلاح الناس وعودتهم إلى الطريق القويم، وكلّ ذلك كان بسبب قرابتهم بالنبي محمد وحبه الراسخ في قلوبهم، حيث قال: "فتح الله علينا ذلك منّة ومنحة بمحمد ﷺ، فلما قبض إليه قام بذلك الأمر بعدُ أصحابُه، وأمرهم شورى بينهم، فحووا مواريث الأمم فعدلوا فيها، ووضعوها مواضعها، وأعطوها أهلها، وخرجوا خماصًا منها"[22].

في هذه الخطبة نجده يصور الخلافة العباسية كضرورة دينية لهداية الناس والسير بهم نحو الصواب والسراط المستقيم، إضافة إلى دورهم في نصرة الحق وإعادته إلى أهله، إضافة إلى جعلها ذات أهمية اجتماعية في إصلاح المجتمع والسمو بأخلاق الناس بعيدا عن الرذيلة وغيرها من الكبائر التي تودي بالمجتمع نحو التهلكة، ونشر البر بين الناس، ولا يفوت الخطيب فرصة التذكير بشرعيّة الخلافة وأنها حق منحهم إياه الله ومن ثم رسوله محمد ﷺ.

استخدام الألفاظ الدينية الجزلة والكلمات ذات النبرة المتصاعدة كان الهدف منه التأثير في وعي الناس ودغدغة مشاعرهم الدينية وبالتالي التمكن منهم وترسيخ ولائهم للسلطة.

إذًا سعى العباسيون لإضفاء شرعية دينية على حكمهم بالزعم أنهم الأحق بوراثة بيت النبوة، مستندين في ذلك إلى كون جدّهم العباس أخذ مكانة الأب شرعًا بعد وفاته، ومن هذا المنطلق تعاملوا مع خصومهم وأنصارهم بنفس المنطق .أما ما ورد من إشارات تؤكد أن الخلافة تُمنح باختيار من الله كموهبة سماوية أو قدر إلهي، فلم يكن سوى محاولة لاستمالة الشعور الديني لجمهور المسلمين، ولإرضاء المتدينين المستسلمين لفكرة القضاء والقدر. ومع ذلك، فالخلفاء العباسيون لم يجمعوا بين السلطتين الدينية والدنيوية، إذ لم تبقَ أي سلطة دينية مباشرة في الإسلام. وبالتالي، لم يبقَ من فكرة الثيوقراطية سوى الألقاب التي اتخذوها لتعزيز فكرة قدسية حكمهم. ويُعتبر إسقاط مصطلحات أو مفاهيم نمت في سياقات تاريخية مختلفة على العصر العباسي نوعًا من التعسف الفكري، فلكل عصر خصوصياته وملامحه ومقوماته. منن بين الألقاب التي استخدمها الخلفاء العباسيون كان لقب "سلطان الله"، كما يتضح في خطبة الخليفة المنصور الذي أعلن فيها: "أيها الناس إنما أنا سلطان الله في أرضه، أعمل

[20] القرآن الكريم: سورة الأحزاب، الآية 33.
[21] القرآن الكريم: سورة الشورى، الآية 23.
[22] أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ): صاحب كتاب تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص57، دار المعارف، مصر، (1967).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

بمشيئته وأقسم بإرادته وأعطي بإذنه وقد جعلني الله عليكم قفلا"[23]، ومن خلال تعزيز هذه القدسيّة، حاول المنصور الترويج لتاريخ أسرته وصلتها بالرسول الكريم صلى الله عليه وآله، ودعّم ذلك بسرد روايات حول رؤى له في صباه، منها زعم رؤيته وهو يطوف بالكعبة برفقة أخيه أبو العباس وعمّه عبد الله، حيث تلقى إشارات من داخل الكعبة حول خلافته المستقبلية. لقد استغل المنصور هذه الروايات لترسيخ فكرة أنه ظلّ الله في الأرض وحاكم بتفويض إلهي، خاصة في ظل الاضطرابات والفتن التي شهدتها الدولة العباسية .كما عزز هذه الصورة الدينية بارتدائه بردة النبي عند توليه الخلافة وفي المناسبات الرسمية وصلاة الجمعة، وأطلق على نفسه لقب الإمام، وهو لقب ديني لم يكن شائعًا في عهد الخلفاء الراشدين والأمويين .استنادًا إلى هذا الإطار الديني والسياسي، سعى العباسيون لتقوية سلطتهم وتعزيز شرعية حكمهم باستخدام الخطاب الرمزي .وقد جاء هذا بوضوح على لسان المنصور عندما قال" :الملوك تحتمل كل شيء إلا ثلاثًا :إفشاء السر، التعرض للحرمة، القدح في الملك ". كذلك، لعبت أساليب الخطاب دورًا بارزًا في تعظيم شخصيات الخلفاء وإضفاء قدسية عليهم، فتكرّرت عبارات تصوّر الخليفة كالحبل الممدود بين الله وعباده أو نور يُضيء للرعية ما استغلق عليهم .ومن الأمثلة على تلك التعبيرات، وصف أبو العتاهية للخليفة الرشيد بصفات توحي بالقرب والسمع الإلهي:

قد دعوناه نائيًا فوجدناه على نأيه قريبًا سميعًا.

أما الصولي فقد أثنى على الخليفة المتقي في مرحلة ضعفت فيها سلطة الخلافة قائلاً" :

وقال الذي سمّاك تقيًّا له فأنت عماد الدين ليس يزول

أدين بك الإسلام فازداد عزه فأنت من الدهر الغشوم تدين

تجلى هنا محاولة تكرار وصف الخلفاء بصفات إلهية لترسيخ روح التقديس لديهم حتى في أشد مراحل الضعف.

ولابدّ هنا من ذكر خطبة أبي جعفر المنصور عند قتل أبي مسلم الخراساني، حيث قال: "أيها الناس: لا تخرجوا من أنس الطاعة إلى وحشة المعصية، ولا تسروا غشّ الأئمة، فإنه لم يسر أحد قطّ منكرة إلا ظهرت في آثار يده، وفلتات لسانه، وصفحات وجهه، وأبداها الله لإمامه، بإعزاز دينه، وإعلاء حقه"، ثم يؤكد على صلاح الطبقة الحاكمة وأنها جاءت لحفظ حقوق الناس ورعايتهم والحفاظ على حريتهم الدينية، ثم ينتقل إلى الحديث عن قتله لأبي مسلم الخرساني وتبرير قتله، إذ يقول: "وإن أبا مسلم بايعنا وبايع الناس لنا، على أنه من نكث بنا فقد أباح دمه، ثم نكث بنا"، إذًا هو من نكث بالعهد وتآمر على الدولة وكان سببًا في قتله وضياع حقّه وإقامة الحدّ عليه ".[24]

في هذه الخطبة نلاحظ جزالة الألفاظ واستخدام موسيقى السجع والموازنة بين الألفاظ ونبرات الصوت المتصاعدة، وتذكير الناس بأن الخلافة العباسية هي امتداد للإمامة ولآل بيت رسول الله، وأن العباسيين هم رعاة الحق الإلهي والإنساني والمدافعون عنه، وطاعتهم واجبة كطاعة الله ورسوله حيث هم امتداد لها، مستخدمًا التهديد والوعيد لكل من يشق عصا الطاعة والإتيان بأي فعل مناهض للخليفة أو قلقلة حكمه.

ونذكر في هذا السياق أيضًا خطبة المأمون يوم الأضحى، حيث قال بعد التكبير والتحميد: "إن يومكم هذا يومٌ أبان الله فضله وأوجب تشريفه، وعظّم حرمته، ووفّق له مِن خلقه صفوته"، ثم يذكّر بابتلاء الله لنبيه إبراهيم وكيف افتدى ولده إسماعيل بالذبح العظيم ، وكيف أن الله جعل أيام الأضحى خاتمة الأيام العشر من المعلومات، وأنه من أعظم الأيام في الأشهر الحرم وأنه يوم الحج الأكبر، يوم نزل القرآن بتعظيمه، ثم انتقل إلى ذكر قوله تعالى: ﴿ وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَى كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِنْ كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴾[25]، داعيًا الناس إلى تقديم الأضاحي تقربًا من الله في هذا اليوم العظيم، واعتبارها من أعظم الشعائر، شريطة أن تكون من حلال أموالهم إضافة إلى إخلاص القلوب والنفوس إلى الله، حيث يذكّر بقوله تعالى: ﴿ لَنْ يَنَالَ اللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ ﴾[26] الحج: 37. ثم التكبير والتحميد والصلاة على النبي ﷺ، والوصية بالتقوى".

---

[23] ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، صاحب كتاب الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المطبعة المنيرية، القاهرة، ج5، ص461، (1997).

[24] أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ص31، ج3، مكتبة مدرسة الفقاهة، (2000).

[25] القرآن الكريم: سورة الحج، الآية 27.

[26] القرآن الكريم: سورة الحج، الآية 37.

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

ثم ذَكَر الموتَ، قال:
"وما مِن بعده إلا الجنةُ أو النار، عظُم قدرُ الدارين، وارتفع جزاء العملين، وطالت مدة الفريقين؛ اللهَ اللهَ، فو الله إنه الجِدُّ لا اللعب، والحق لا الكذب"، وما هو إلا الموت والبعث والميزان والحساب والصراط والقصاص والثواب والعقاب، فمن نجا يومئذ فقد فاز، ومن هوى يومئذ فقد خاب، الخير كله في الجنة، والشر كله في النار"[27].

وفي هذه الخطبة نلاحظ هذا الكم من حشد الألفاظ الدينية المقرونة بالموسيقى والسجع والموازنة بين الألفاظ والبناء الفني للعبارات وتدعيم المقصد بالآيات القرآنية، وتوظيف كل ذلك في خدمة مكانة الخلافة دينيّا واجتماعيا، وتصوير قدسية مكانتها في قربها من الله ونبيه، وتذكير الناس بضرورة الولاء للخلافة والتزام الشريعة في الإخلاص لها وللمجتمع والدين، وهذا مايخدم السلطة في تصويرها أمام العامّة بأنها الحارس للإسلام والقائم على حمايته وتطبيق تعاليمه، وحتى حماية الناس من أنفسهم.

ونذكر أيضًا خطبة المأمون بعد أن قُتل الأمين، فقد حمَد الله، وأثنى عليه، وصلّى على نبيّه، ثم قال: "أيّها النّاس: إنّي جعلت الله على نفسي، إن استرعاني أموركم أن أُطِيعَه فيكم، ولا أسفك دمًا عمْدا لا تُحله حدوده، وتسفِكه فرائضه، ولا آخذ لأحد مالًا، ولا أثاثًا، ولا نحلة تحرم عليَّ، ولا أحكم بهَوَاي، في غَضَبي ولا رضاي"، ثم يؤكد على أنه يحكم بأمر الله وعهده وميثاقه، وكل ذلك بهدف زيادة نعمة الله عليه وخوفًا من غضبه وسؤاله له يوم القيامة عمّا فعل وقدّم من خدمة للناس."[28].

نلاحظ هنا نوعًا من استعطاف الناس وخاصة أنصار الأمين ومخاطبة وعيهم من خلال ذكر مآثر الخلفاء وتذكيرهم بأخلاقهم وقربهم من الله ورسوله والناس فيما يقررون ويقولون ويفعلون، وتذكيرهم بأن الخروج على الحاكم هو خروج عن طاعة الله ورسوله، فالخلفاء يسعون إلى كسب رضا الله ورسوله من خلال بذل الجهد والروح فداء للناس وللأمة والإسلام، وذلك بالالتزام بالشريعة والتعاليم القرآنية في أمور الحكم والعامة والمجتمع وتحقيق كلّ مافيه خدمة لهم، وأن الحاكم لا يبغي من الحكم إلا مرضاة الله ورسوله عن طريق خدمة الناس والعدالة في الملك.

ونذكر جزءًا من خطبة هارون الرشيد، يقول فيها:
"الحمد لله الذى نحمَده على نعمه، ونستعينه على طاعته، ونستنصره على أعدائه، ونؤمن به حقاً، ونتوكل عليه مفوضين إليه"، ثم ينتقل إلى التشديد على الالتزام بأوامر الله واتقاء غضبه ومخالفة تعاليمه والإكثار من الحسنات واجتناب السيئات بغية الفوز بالجنة واتقاء الجحيم، مذكرًا إيّاهم بيوم الحساب، ذلك اليوم الذي لاريب فيه اليوم الذي يرجع فيه الناس إلى ربهم حاملين أعمالهم ولا ينفعهم فيه إلا ما قدّموه من خير وحُسنى، داعيًا إياهم إلى الالتزام بالأخلاق الحميدة من إيمان صادق وأمانة وصدق.

ثم يذكرهم بما حدث للقرون الخالية، إذ يقول: "وقد رأيتم وقائعه بالقرون الخوالي جيلًا فجيلًا، وعهدتم الآباء والأبناء والأحبة والعشائر باختطاف الموت إياهم من بيوتكم ومن بين أظهركم لا تدفعون عنهم ولا تحولون دونهم، فزالت عنهم، وانقطعت بهم الأسباب، فأسلمتهم إلى أعمالهم عند المواقف والحساب، ليُجزى الذين أساؤوا بما عملوا والذين أحسنوا بالحسنى"[29].

هذه الخطبة بما ورد فيها تشكل تلخيصًا لما تميزت به الخطابة في العصر العباسي من خلال استخدام قوة الألفاظ وعدم استخدام السجع إلا في مكانه خدمة للنص، والاستشهاد الغزير بالألفاظ الدينية من القرآن والسنة النبوية للتأثير في وعي العامة وعقولهم، الإيجاز والاختصار والبعد عن الإطناب، وكل ذلك في خدمة صورة الخليفة التقي الورع الساهر على خدمة الشريعة الإسلامية وتنفيذ أحكامها ووصاياها.

استُخدمت الخطابة في العصر العباسي كأداة لتعزيز الولاء للخليفة وتأكيد ضرورة طاعته، خصوصًا في الأوقات التي شهدت اضطرابات أو تهديدات لسلطته. لعبت الخطابة دورًا مهمًا في ترسيخ الاستقرار السياسي، حيث

---

[27] ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، صاحب كتاب عيون الأخبار، ج2، ص276، دار الكتب العلمية، بيروت، (1997).

[28] ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ): صاحب كتاب العقد الفريد، ج4، ص194، دار الكتب العلمية، بيروت، (1984).

[29] أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ - ٣١٠ هـ): صاحب كتاب تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص231، دار المعارف، مصر، (1967).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

استغل الخلفاء هذا الفن البلاغي للتأثير على الجماهير وتعزيز مكانتهم. تمثلت أبرز سمات الخطابة العباسية في بلاغتها الفائقة، واعتمادها على التشبيهات والأمثال، بالإضافة إلى استخدامها لغة فصيحة تصل بسهولة إلى عامة الناس، مما جعلها وسيلة مؤثرة لنقل الأفكار بشكل قوي وفعّال .كما شملت الخطب العباسية توجيهات أخلاقية تحث على التمسك بالفضائل وتحذر من الفساد والفوضى، بما يدعم شرعية الحكم القائم ويشجع الشعب على الالتزام بالقيم الإسلامية والآداب العامة. إلى جانب ذلك، ركزت الخطابة على تأكيد الشرعية الإلهية والدينية للحكم العباسي، مع توظيف الآيات القرآنية والأحاديث النبوية لإثبات أنهم الورثة الشرعيون للسلطة، مما عزز من مكانتهم ودورهم في قيادة الأمة[30].

إذًا نستطيع القول إنه في بداية عهد الخلافة العباسية، تم تصويرها كضرورة دينية وسياسية، حيث ركز الخلفاء على دعم الدين الإسلامي ونشره، مقدمين أنفسهم كحماة للشريعة الإسلامية ومصدر السلطة الدينية والسياسية . هذا التوجه لم يقتصر على الجانب الديني فقط، بل استُخدم لتعزيز شرعية الخلفاء السياسية وترسيخ موقعهم في الحكم .ومع ذلك، شهدت الخلافة لاحقًا تراجعًا في السلطة المركزية، ما أدى إلى نشوء كيانات سياسية مستقلة، انعكس ذلك سلبًا على الشرعية الدينية للخلفاء مع تصاعد دور العلماء وتأثيرهم .خلال العصر العباسي الأول، كان الخلفاء يتمتعون بسلطة دينية وسياسية شاملة، فمارسوا تفسير النصوص الدينية وإصدار الفتاوى الشرعية، وقدموا أنفسهم كراعين للشريعة ومطبقين لها. كما لعبوا دورًا فعالًا في نشر الإسلام واللغة العربية عبر رقعة جغرافية واسعة، مما عزز من تأثير الدين والدولة في مناطق جديدة .وقد اعتمد العباسيون على توظيف السلطة الدينية كوسيلة لإضفاء شرعية على حكمهم السياسي، سواء من خلال الخطابات التي تُبرز مكانتهم الدينية أو عبر الفتوحات التي ساهمت في توسعة حدود الدولة وتوطيد قوتها السياسية والدينية.

المطلب الثاني: تأثيرات الأساليب الخطابيّة على تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي

الخطابة لعبت دورًا بارزًا ومؤثرًا في تشكيل الوعي السياسي والاجتماعي في العصر العباسي، خصوصًا في مرحلته الأولى، فقد كانت وسيلة فعّالة لتعزيز شرعية الحكم العباسي وتبرير الثورة ضد الأمويين، معتمدة بشكل كبير على الاستشهاد بالآيات القرآنية لإضفاء الشرعية على السلطة الجديدة وتسليط الضوء على روايتهم للأحداث.

ومع ازدهار الخطابة في البدايات، تراجع دورها في الفترات اللاحقة نتيجة السياسات القمعية التي فرضها العباسيون، حيث حدّوا من حرية التعبير وقيدوا النشاط السياسي. هذا التراجع انعكس سلبًا على دور الخطابة كفن يعتمد أساسًا على حرية التعبير، مما أضعف تأثيرها بمرور الزمن.

سياسيًا، لعبت الخطابة دورًا مهمًا في تشكيل وعي الجمهور، بتسليطها الضوء على مظالم العهد الأموي وتأكيد شرعية العباسيين في قيادة الأمة الإسلامية. وقد ساهمت خطب شخصيات مثل أبي العباس السفاح في إقناع الأنصار بتأييد الثورة وتوحيد صفوفهم حول أهدافها؛ إذ استُغلت لتبرير الانتقال السلمي للسلطة مع إدانة الممارسات السياسية للأمويين.

أما اجتماعيًا، فقد كانت الخطابة أداةً للتوعية بمظاهر الظلم الاجتماعي الذي عانى منه الناس في عهد الأمويين والدعوة إلى تحقيق العدل وإعادة الحقوق، مما عزز مفهوم المسؤولية الجماعية وساهم في بناء وجهة نظر عامة حول أهمية العدالة والحكم الرشيد .تميزت الخطابة العباسية بأسلوبها المباشر والجامع، إذ وجدت صلتها الوثيقة بالصلاة، خاصة صلاة الجمعة وصلاة العيدين، وكانت مثالًا حيًا للتواصل الجمعي المباشر بين الحاكم والجمهور[31].

الخطيب يقف أمام الناس مباشرةً، مستخدمًا الكلام مصحوبًا بالتعبيرات والإشارات التي تُثير العواطف وتحفّز المشاعر. هذه العلاقة المباشرة منحت الخطبة قوة تأثيرية كبيرة، خصوصًا إذا كان من يلقيها الخليفة ذاته، الذي كانت طاعته مرتبطة بالمكانة الدينية والاجتماعية المهمة التي يحظى بها .اقتباس الخطاب العباسي من القرآن الكريم كان أحد أبرز سماته، حيث منح الخطبة هيبة وعمقًا يعزز مقاصد الخُلفاء من تشجيع الجهاد والتحفيز على الصبر في مواجهة الأعداء؛ مع التذكير بما ينتظر المؤمنين من ثواب عظيم في الآخرة. فعادةً ما كان الخطباء

[30] د. رابعة المجالي، أروى القطامين: خطب الخلفاء في العصر العباسي، ص204، مجلة الحسين بن طلال للبحوث، جامعة مؤتة، (2021).

[31] أنسام خالد أبو شرخ: مميزات الخطابة في العصر العباسي، موقع موضوع الإلكتروني، (2018).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

ينتهون بختم الخطب بآيات قرآنية اختيارية تتناسب مع السياق العام، كما فعل أبو العباس السفاح حين قال: "اتقوا الله ما استطعتم ولا تموتنّ إلا وأنتم مسلمون". هذا الاستخدام المكثف للآيات جعل الخطابة تحمل طابعًا دينيًا قويًا، حيث كان لها وقع مؤثر يُضفي عليها جمالًا ووقارًا خاصين لدرجة أن الخطب الفاقدة لهذا العنصر القرآني كانت تُعتبر ضعيفة أو شوهاء[32].

خاتمة

إن أنواع الخطابة في العصر العباسي تتماشى مع الأنواع التقليدية التي ظهرت في العصور السابقة، وهي: السياسية والدينية والحربية، وخطب الوفادة والمناسبات، وكذلك خطب النكاح. في بداية العهد العباسي، سعى العباسيون إلى ترسيخ سلطتهم وتوطيد أركان حكمهم. لهذا السبب اعتمدوا على الخطابة كوسيلة للدفاع عن مواقفهم وكسب دعم العامة، مما ساهم في الحفاظ على مكانة الخطابة السياسية واستمرار تأثيرها في عهود الخلفاء الأوائل. ومع استقرار الأمر للعباسيين لاحقًا، اتجهوا نحو الحد من حرية التعبير وإخماد الأصوات المعارضة، مما أدى إلى ضعف الخطابة السياسية بسبب غياب الحرية وعدم بروز أحزاب سياسية مؤثرة.

أما الخطابة الدينية فقد شهدت ازدهارًا مستمرًا؛ لأنها ارتبطت ارتباطًا وثيقًا بالإسلام الذي أتاح لها مساحة كبيرة للنمو والتطور .فقد واكبت الدعوة الإسلامية وتعاملت مع القضايا المهمة للمجتمع المسلم، وأصبحت جزءًا أساسيًا من بعض الشعائر كالجمعة والعيدين. ومع ذلك، بدأت بوادر الضعف تظهر مع الزمن نتيجة لبعض العوامل، منها اعتماد الخطباء على نصوص غيرهم أو على قوالب جاهزة وعبارات مكررة - .كثيرًا ما خرجت الخطب الدينية عن غايتها الأصلية التي شرعت من أجلها .إذ كان الهدف منها معالجة القضايا الراهنة والأحداث المتجددة، إلا أنها انحرفت عن هذا الخط في فترات متعددة من العصر العباسي - .بالنسبة للخطب الحربية، فقد خفت حدتها بفعل تراجع حركة الفتوحات وضعف الأحزاب المعارضة .ومع ذلك، استمرت الحروب بين العباسيين والروم أو مع الخارجين عليهم كدافع لإلقاء مثل هذه الخطب بين الحين والآخر.

بشكل عام، اعتمد العباسيون في خطابتهم على الموضوعات التقليدية مع تراجع الإبداع والتجديد في الأفكار والمعاني. كما لم تكن الأفكار المطروحة بتلك العمق المتوقع مقارنة بالعصر الذهبي للفكر الإسلامي. فضلت الغالبية من الخطباء التوجه نحو السلامة والبساطة نظرًا لضغوط السلطة القائمة آنذاك. وعلى الرغم من ذلك، يُحسب لهم التزامهم الوضوح في المعاني، حيث مالوا نحو التعبير المباشر الذي يسهل فهمه دون عناء. أخيرًا، كان للخطب العباسية طابعًا هيكليًا مشتركًا يتمثل في التحميد والصلاة على النبي، الالتزام بالإيجاز ومقتضى الحال، وختامها بالدعاء.

نتائج وتوصيات

نستطيع القول إنّ الخطابة من الفنون الأدبية التي عرفها الإنسان منذ عهدٍ مبكر، وهي تهدف إلى التأثير في نفوس السامعين واستمالتهم وإقناعهم؛ لهذا اتخذها الأنبياء أداةً مهمّة في نشر تعاليمهم، وشدّ الناس إليهم، ولم يستطيعوا أن يهدوا الأمم إلاّ بقوة المنطق، وبراعة البيان.

من الضروري إجراء دراسة معمّقة لأنواع الخطابة في العصر العباسي، تُبرز خصائص هذا الفن الرائع وتعيد إحيائه بأسلوب مبتكر يليق بأهميته. إذ يمكن استثمار هذه الدراسة في تسليط الضوء على مكانتها الثقافية واستكشاف جوانبه الفنية بشكل أكثر اهتمامًا وتعمقًا. من أبرز تلك السمات التي ميّزت الخطابة العباسية الإيجاز مقابل الإطناب، وضوح المعنى وسهولة الألفاظ، بالإضافة إلى استلهام القرآن الكريم والحديث النبوي كمصادر رئيسية للإبداع. كما لعب السجع والبلاغة دورًا محوريًا في بناء الجمل، بجانب الاستفادة من الأساليب البيانية مثل المجاز والاستعارة، مع تبيان المحسّنات البديعية وتحليل تأثيرها. ومن المهم أيضًا تحديد العوامل التي ساهمت في ازدهار هذا الفن أو أضعفته، مع مراعاة السياق التاريخي والاجتماعي الذي أُنتج فيه. زيادة على ذلك، ينبغي تكثيف البحث حول استخدام التشبيهات والاستعارات والكنايات لتوظيف الصور البيانية التي تثري النصوص الخطابية، وتنويع المعاني بطرق مبتكرة تعزز الفكرة لدى المستمع. لعلّ التركيز على البناء المنطقي للبراهين والحجج يساعد في تحقيق الهدف الأسمى للخطابة، وهو التأثير والإقناع، كذلك تتطلب الدراسة بحثًا معمقًا للعوامل التي سمحت بازدهار الخطابة العباسية، مثل المناخ المواتي لحرية التعبير آنذاك، مقابل تحليل

[32] هارون الحلبي: الخطابة خصائصها وأنواعها، موقع ملتقى الخطباء، مجلة الخطباء المحكمة، (2022).

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

أسباب تراجعها في مراحل لاحقة. ولا يمكن تجاهل العلاقة بين اهتمام الخلفاء بتطوير فن الخطابة وبين أهدافهم السياسية والاجتماعية، إذ ساهم ذلك الارتباط في رفع مكانة هذا الفن داخل المجتمع العباسي. وأخيرًا، يُستحبّ تسليط الضوء على نماذج من الخطب الشهيرة خلال تلك الفترة، مع الاستفادة من الدراسات والمؤلفات التي تناولت الخلفيات السياسية والثقافية والاجتماعية لها لتحليلها بشكل شامل ومدروس.

المصادر والمراجع

1. دايل كارنيجي: بالإنجليزية (Dale Carnegie) : ولد في 24 نوفمبر 1888 بالقرب من ميزوري في الولايات المتحدة الأمريكية: صاحب كتاب فن الخطابة، ص71، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، لبنان، (1999).
2. ابن منظور؛ محمد بن مكرم بن علي، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعي الإفريقي: لسان العرب، المكتبة الشاملة، دار صادر، بيروت، 14ج، ص98، (2014).
3. أرسطو طاليس: الخطابة، ترجمه عن اليونانية وحققه، د. عبد الرحمن بدوي، وكالة المطبوعات، دار قلم، بيروت، 1980م.
4. إبراهيم علي أبو خشب: تاريخ الأدب العربي في العصر العباسي، ص 560، دار الفكر العربي. القاهرة، (2016).
5. ممدوح محمد نصر الدين: الخطابة في العصر العباسي الأول، دار أنوار الأزهر للنشر والتوزيع، القاهرة، م16، ص 114، (2021).
6. حسين عبد العال اللهيبي: الخطابة العربية في العصر العباس، جامعة القادسيّة، كليّة الآداب، العراق، م7، ص107، (2008).
7. د. محمد حاجي تقي: الجهاد الشيعي تحت المجهر، مجلة المنهاج، ع29، (2003).
8. الخطيب البغدادي، أبو بكر أحمد بن علي بن ثابت بن أحمد بن مهدي: صاحب تاريخ بغداد، 24 ج، ج1، ص 36، بيروت، دار الكتب العلميّة، دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا، (2022)
9. جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي: تاريخ الخلفاء، فصل في الأحاديث المبشرة بخلافة بني العباس، ج1، ص80، منشورات المكتبة الإسلامية، شبكة إسلام، (1998).
10. الخطيب البغدادي: صاحب تاريخ بغداد، مرجع سابق، 24 ج، ج1، ص40.
11. شمس الدين بن محمد الذهبي المتوفى (1374): صاحب كتاب سير أعلام النبلاء، تحقيق أكرم البوشي، شعيب أرناؤوط، ص388، مؤسسة الرسالة، بيروت، (1984).
12. أبو الفرج، عبد الرحمن بن عي بن محمد بن علي بن عبد الله بن حمادي بن أحمد بن محمد بن جعفر الجوزي التيمي البغدادي: صاحب تلبيس إبليس، الفقه الوعظي، ف5، ص29، تحقيق مسعد السعدني ومحمد بن الحسن بن إسماعيل، دار الكتب العلمية، بيروت، ج8، (2023)
13. شمس الدين محمّد بن مفلح بن محمد بن مفرج الراميني القانوني المقدسي الصالحي الحنبلي: الآداب الشرعيّة، تحقيق عمر القيام وشعيب الأرناؤوط، مؤسسة الرسالة، بيروت، (2015)
- (طلب العلم فريضة على كل مسلم)، رواه أنس بن مالك عن النبي، أخرجه البخاري في كتاب العلم، باب من يرد الله به خيرا يفقهه في الدين، وأخرجه مسلم في الزكاة، ص5276، وهذا الحديث أنكره أكثر أهل العلم ولم يضعوه ضمن الأحاديث الموثوقة، تخريج سُرى يوسف، ص2، موقع موضوع، (2022).
- أبو القاسم علي بن الحسن ابن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر (٤٩٩ ٥٧١ هـ): صاحب كتاب تاريخ دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبو سعيد عمر بن غرامة العمروي، ج1و2، ص201، دار الفكر، دمشق، (1995)
14. فرح السلخي: مظاهر الحياة السياسية في العصر العباسي، الناشر موقع موضوع الإلكتروني، (2022).
15. ناجية الوريمي: المؤسسة الدينية والسلطة السياسية من الولاء إلى المواجهة، ص18، مؤسسة مؤمنون بلا حدود للدراسات والأبحاث، تونس، (2017).
16. القرآن الكريم: سورة الأحزاب، الآية 33.
17. القرآن الكريم: سورة الشورى، الآية 23.

DOI: https://doi.org/10.33193/JEAHS.47.2025.679
e-ISSN: 2709-071X
p-ISSN: 2709-0701
مجلة العلوم التربوية والإنسانية
Journal of Educational and Human Sciences
www.jeahs.com
Volume (47) September 2025
العدد (47) سبتمبر 2025

18. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ٣١٠ هـ): صاحب كتاب تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص57، دار المعارف، مصر، (1967).
19. ابن الأثير، عز الدين أبي الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني، المعروف بابن الأثير الجزري، صاحب كتاب الكامل في التاريخ، تحقيق عمر عبد السلام تدمري، المطبعة المنيرية، القاهرة، ج5، ص461، (1997).
20. أحمد زكي صفوت: جمهرة خطب العرب في عصور العربية الزاهرة، ص31، ج3، مكتبة مدرسة الفقاهة، (2000).
21. القرآن الكريم: سورة الحج، الآية 27.
22. القرآن الكريم: سورة الحج، الآية 37.
23. ابن قتيبة الدينوري: أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ)، صاحب كتاب عيون الأخبار، ج2، ص276، دار الكتب العلمية، بيروت، (1997).
24. ابن عبد ربه الأندلسي، أبو عمر، شهاب الدين أحمد بن محمد بن عبد ربه بن حبيب بن حدير بن سالم المعروف بابن عبد ربه الأندلسي (ت ٣٢٨هـ): صاحب كتاب العقد الفريد، ج4، ص194، دار الكتب العلمية، بيروت، (1984).
25. أبو جعفر، محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ ٣١٠ هـ): صاحب كتاب تاريخ الرسل والملوك، ج7، ص231، دار المعارف، مصر، (1967).
26. د. رابعة المجالي، أروى القطامين: خطب الخلفاء في العصر العباسي، ص204، مجلة الحسين بن طلال للبحوث، جامعة مؤتة، (2021).
27. أنسام خالد أبو شرخ: مميزات الخطابة في العصر العباسي، موقع موضوع الإلكتروني، (2018).
28. هارون الحلبي: الخطابة خصائصها وأنواعها، موقع ملتقى الخطباء، مجلة الخطباء المحكمة، (2022).